﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣﴾ [آل عمران: 53]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبلَها:

التَّضرّعُ إلى الله والإيمان به وبرسله وكتبه؛ صِفةُ أهل التَّوحيد:

تعظيم الله والأدب معه، بعد الأدب مع عيسى عليه السلام

في الآية عَرْضٌ لحَالِ الحواريِّين على اللّه تعالى بعد عَرضِها على عيسى عليه السلام؛ استمطارًا لسحائب إجابة دعائهم، وقِيل: مُبالغة في إظهار أَمْرِهِم[1]. ولمّا أجاب الحواريّون رسولهم عيسى عليه السلام، قاصرين أنفسهم على نصرته، معلّلين ذلك بإيمانهم باللّه، وأشهدوا بانقيادهم أدبًا معه، ترقّوا إلى المرسِلِ سبحانه في خطابهم إعظامًا للأمر، وزيادة في التّأكيد، وتثبيتا لأنفسهم، واستعانة به سبحانه، مسقطين لأداة النّداء، استحضارًا لعظمته بالقرب لمزيد القدرة وترجّي منزلة أهل الحبّ، فقالوا: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ﴾[2]، وحيث إنّ العقائد والأخبار والقصص، لا تتغيّر؛ وأنّ الّذي يتغيّر هو الأحكام الّتي تضبط حركة الحياة، في كلّ عصر ومصر، ومع تجدّد الدّين، بإرسال رسل تترى بعضها من بعد بعض، كان إعلان الحواريين هو إعلانًا للإيمان بما أُنزل سلفًا على عيسى ابن مريم من عقائد، وبما جاء به المسيح من أحكام وتشريعات[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿رَبَّنَآ﴾: أَصلُ الرَّبِّ: إِصْلَاحُ الشَّيْءِ، أو: لُزُومُ الشيء وَالقِيَامُ عَلَيْهِ وضَمُّ بَعضِهِ إلى بعض في تَجَمُّع وتَمَاسُك من أَجلِ الإصلاح

(1) الآلوسيُّ، روح المعاني: 2/170.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 4/418، والبقاعيّ أيضًا، دلالة البرهان القويم: 3/1042.
(3) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ (الخواطر): 3/1492.

أو الانتفاع[1]، ويطلق الرَّبُّ على المربّي، والمالك، والمدبِّر، والقيِّم، والمُنْعِم، والسَّيِّد، والمُصلِح[2]، "والرّبُّ في الأصل التّربيّةُ، وهُو إنشاءُ الشّيء حالًا فحالًا، إلى حدّ التّمام، يُقال: ربّه وربّاه وربّبه، وقيل: (لأنْ يَرُبَّنِي رجلٌ من قريش، أحبُّ إليّ منْ أنْ يَرُبَّني رجلٌ من هوازن)، فالرّبُّ مصدرٌ مستعارٌ للفاعل"[3]، والرَّبُّ عند الإطلاق هُوَ اللّه تبَارك وتَعالى، إذ تجتمع فيه كلّ هذه المعاني وغيرها[4].

2) ﴿ءَامَنَّا﴾: الإيمانُ: التَّصديق، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف: 17] أي: بمُصَدِّق[5]، ويعرّف بأنّه "إذعانُ النّفس للحقّ على سبيل التّصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء، تحقيق بالقلب، وإقرار باللّسان، وعملٌ بحسب ذلك بالجوارح ... ويقال لكلّ واحد من الاعتقاد والقول الصّدق، والعمل الصّالح، إيمانٌ"[6].

3) ﴿أَنزَلۡتَ﴾: النُّزُولُ في الأصل هو هبوطٌ وانحِطَاطٌ منْ عُلُوٍّ، يقال: نَزَلَ في مكان كذا: حَطَّ رَحْلَهُ فيه، وأَنْزَلَهُ غيرُهُ[7]، "ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ٢٩﴾ [المؤمنون: 29]، ونزل بكذا وأنزله بمعنى، وإنزال اللّه نعمه ونقمه على الخلق: إعطاؤهم إيّاها، وذلك إمّا بإنزال الشّيء نفسه كإنزال القرآن، وإمّا بإنزال أسبابه والهداية إليه، كإنزال الحديد واللّباس، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الكهف: 1]، و﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ﴾ [الحديد: 25] "[8].

4) ﴿وَٱتَّبَعۡنَا﴾: الاتبّاع: التُّلُوُّ وَالْقَفْوُ، يُقَال: تَبِعَ فلَانٌ فلَانًا واتَّبَعَهُ: قفا أثره، " وذلك تارة بالارتسام والائتمار، وعلى ذلك: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨﴾ [البقرة: 38]، وقوله: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ربّ)، جبل، المعجم الاشتقاقي: (ربب، ربرب).
(2) ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس: (ربب)، جبل، المعجم الاشتقاقي: (ربب - ربرب).
(3) الزّين، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم: (ربّ).
(4) الخليل، العين، الأزهري، تهذيب اللّغة: (ربّ)، ابن منظور، لسان العرب، الزّبيديّ، تاج العروس: (ربب)، جبل، المعجم الاشتقاقي: (ربب، ربرب).
(5) الخليل، العين، والجوهري، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (أمن).
(6) سميح عاطف الزّين، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم: (أمن).
(7) الخليل، العين، والجوهريّ، الصّحاح، ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نزل).
(8) الزّين، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم: (نزل).

﴿٢١﴾ [يس: 20- 21][1]. والاتِّباع: أَن يسيرَ الرَّجل وَأَنت تسير وَرَاءَه[2]، والمعنى واتّبعنا الرّسول عيسى ابن مريم، فاكتبنا مع الشّاهدين الّذين يشهدون لأنبيائك بالصّدق[3].

5) ﴿ٱلرَّسُولَ﴾: هو: المَبعوثُ الَّذِي يُتَابع أَخْبَار الَّذِي بَعثَه؛ مأْخوذٌ من قَوْلهم: جَاءَت الإبلُ رَسلًا، أَي: مُتتابِعَة في سَيرِها وانبِعاثِها، والرَّسْلُ والإرسالُ: الانْبِعَاثِ وَالامْتِدَادِ[4]، والرّسول يقال للواحد نحو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التّوبة: 128]، والجمع، نحو قوله: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الشّعراء: 16]، ويذكر أنّ رسول اللّه تارة يراد به الملائكة، كقوله: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾ [هود: 81]، وتارة يراد به الأنبياء، كقوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الأنعام: 48][5].

6) ﴿فَٱكْتُبْنَا﴾: أصل الكتب والكتابة جَمْعُ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ وإلصاقُه بدقّة وقُوّةٍ، وسُمِّيت الكتابة كتابة لضمّ الحروف بعضها إلى بعضٍ، والأصلُ في الكتابة النَّظم بالخَطِّ، وفي المقال النَّظم باللَّفظ. ومعنى ﴿فَٱكْتُبْنَا﴾ أَثبتنا معهم وأدخلنا في زُمرتهم[6].

7) ﴿ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: شَهِدَ: كلمة تَدُلُّ عَلَى حُضُورٍ وَعِلْمٍ وَإِعْلَامٍ، والمشاهدَةُ: المعاينةُ، وشَهِدَهُ شُهُودًا: أي حَضَرَه، فهو شَاهِدٌ، وقومٌ شُهودٌ، أي حُضورٌ[7].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

الأنبياءُ وأتباعهم؛ صادقون في الإيمانِ، برآءُ من الشِّركِ

قال الحَواريُّونَ كذلك: رَبَّنا آمنَّا بما أَنزلتَ علَى أَلسِنَةِ رُسلِك كلّهم من الإنجيل وغيره، واتَّبعنا عيسى عليه السلام، فاجعلنا مع الشَّاهدين بالحقِّ الَّذين آمنوا بِكَ وبرُسُلِكَ[8].

(1) الزّين، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم: (نزل).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، الرَّاغب، مفردات ألفاظ القرآن: (تبع).
(3) الحجازيّ، التّفسير الواضح: 1/236.
(4) الأزهري، تهذيب اللُّغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، ابن منظور، لسان العرب: (رسل).
(5) الزّين، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم: (رسل).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة، السَّمين، عُمدة الحفَّاظ، جبل، المعجم الاشتقاقي: (كتب).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة، الجوهري، الصحاح، ابن منظور، لسان العرب، جبل، المعجم الاشتقاقي: (شهد).
(8) الرَّازي، مفاتيح الغيب: 8/235، جماعة من علماء التَّفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 57.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

براعة الاستفتاح بلفظ ﴿رَبَّنَآ﴾ في المطلع:

صدّروا ضراعتهم إلى الله تعالى بالاعتراف الكامل بالرّبوبية، وفي الاعتراف بالربوبية إحساسٌ صادقٌ بجلال النِّعم، وتقديم شُكْر المنعِم[1]. ولذلك قالوا: ﴿رَبَّنَآ﴾ ولم يقولوا: (ربّ العِباد)؛ لأنّ الموضعَ موضعُ اعتراف وشكر، لا الإِخبار عما عليه الشيء في نفسه، فلذلك خص ﴿رَبَّنَآ﴾[2].

إيثار لفظ الربّ، وإضافته إلى ضميرهم اعترافٌ بالشكر، لا إخبارًا عما عليه الشيء في نفسه

كمال الخضوع لله لَا يكون إلّا بالإيمان بالرّبوبية:

ثم الاعتراف بالرّبوبية الحقّ يطوي في أثنائه الاعتراف بالألوهيّة الحقّ؛ لأنّ كمال الخضوع لله لَا يكون إلّا بالإيمان بالربوبيّة، ووراء هذا كلّه الإفراد بالعبوديّة[3].

بلاغةُ حَذف حرف النِّداء، وذِكره:

لَمَّا خاطبَ المؤمنون نبيَّ الله تعالى بأدبٍ جَمٍّ، وتَعظيمٍ وتَبجيلٍ كاملين، ترقَّوا إلى خطاب مَن أرسله، وهو الحقُّ سبحانه وتعالى؛ وإعظامًا للأمر، وزيادة في التَّأكيد فقالوا مُسقطين لأداة النِّداء؛ استحضارًا لعظمته بالقرب لمزيد القُدرة، وترجِّي منزلة الحُبِّ: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ﴾[4]. وهذا الأسلوب من النِّداء جاء ليُصوِّر معنى التَّضرُّع والمبالغة في عرض حالهم.

اختيار أسلوب الخطاب والنِّداءِ تربيةٌ وأدبٌ أتقنها الصَّالحون

على كَثْرَة ما نُودي الرَّبُّ تعالى في القرآن لم يأتِ مسبوقًا بحرف النِّداء إلَّا في مَوْضِعَيْنِ هما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان: 30]، وفي قوله: ﴿وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الزُّخرف: 88]، والسِّر في إظهار حرف

ذِكر حرف النداء زيادة في الضَّراعة إلى الله واستجلاب رضاه

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 3/1238.
(2) الراغب، تفسير الراغب: 2/586.
(3) ابو زهرة، زهرة التفاسير: 3/1238.
(4) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 4/418.

النِّداء في هذين الموضعين التَّعبير عن حالة نفسيَّة أَلَمَّت بالرَّسول ﷺ، وقد أفرغ جهده في دعوة قومه وإنذارهم، فلم يزدهم ذلك إلَّا تماديًا في كُفرهم، فأطبق الهَمُّ على فؤاده، فذكر حرف النداء زيادة في الضَّراعة إلى اللّه واستجلاب رضاه[1].

المُوجبُ من تفرُّع الدُّعاء على دُعاءٍ آخر:

يَقْتَضِي التَّفريعُ زيادةَ فَضْلِ الشَّاهِدِينَ عَلَى فَضْلِ الْحَوَارِيِّينَ؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الْمَخْصُوصُونَ بِأَدَاءِ الشَّهَادَةِ

قوله: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ من كلام الْحواريِّينَ، ثمَّ فَرَّعُوا على ذلكَ الدُّعاء دُعاءً بأنْ يَجعلَهُمُ اللّه مع الشَّاهدين، أَي مع الَّذينَ شَهدوا لِرُسُلِ اللّه بالتَّبليغ وبالصِّدْقِ[2]؛ وَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ لِلشَّاهِدِينَ فَضْلٌ يَزِيدُ عَلَى فَضْلِ الْحَوَارِيِّينَ؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الْمَخْصُوصُونَ بِأَدَاءِ الشَّهَادَةِ، قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143][3]. وإنَّما طلبوا شهادته بإسلامهم؛ تأكيدًا لإيمانهم؛ لأنّ الرُّسُل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم[4].

التَّصوير النَّفسي لحال الحواريِّن في الآية:

وصْفُ الحالِ كمالُ الإيمان، وتمامُ الانقياد، وتشوّف إلى صحبة الشاهدين

صوَّرتِ الآيةُ حالَ الحواريين من خلال أُسلوب تأكيد الخبر باسميَّة الجملة ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾، وكذلك من خلال التَّشريك بالعَطف بين ﴿ءَامَنَّا﴾ ﴿وَٱتَّبَعْنَا﴾؛ لاتحاد الجملتين في الخبريَّة.

مواضع الإعمام في الآية:

جاء الإعمام في ثلاثة مواضع من الآية الكريمة:

الأوَّل: في قوله تعالى: ﴿بِمَآ أَنزَلْتَ﴾، نجد أنَّ (ما) الموصولة قد دَلَّت على العُموم، إذ بيَّنت عُمومَ إيمانهم بكلِّ ما أنزله اللّه ﷻ، من كُتبٍ سماويَّة وأحكامٍ شرعيَّة، وما فيها من حلالٍ وحرامٍ.

(1) بدوي، من بلاغة القرآن، ص: 131.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/256.
(3) الرَّازي، مفاتيح الغيب: 8/235.
(4) الطِّيبي، فتوح الغيب: 4/118.

والثَّاني: في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ﴾ أي: عيسى، فحَذْفُ المتعلَّق مُشعرٌ بالتَّعميم، أي: اتَّبعناه في كلِّ ما يأتي به[1].

الإعمامُ إطلاقٌ لحقيقة الإيمان والإتّباع والشهادة، واستغراقٌ لتفاصيلها

والثَّالث: في قوله تعالى ﴿مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ للرَّسولِ بتبليغ الدَّعوة، وعلى قومه بما كان منهم من الكُفر والجُحود، فحذف معمول الشَّاهدين؛ ليعمَّ المشهود لهم والمشهود عليهم[2]. وفائدة الإعمام في الثلاثة إطلاقُ معاني أفعالها استغراقًا لتفصيلاتها.

سرّ تقديم الإيمان على الاتّباع:

ذكر الحواريون الاتّباع بعد الإيمان يفيد أنّ إيمانهم كان في مرتبة اليقين التفصيلي الحاكم على النفس المصرِّف لها في العمل

أردف الإيمان بذكر الاتّباع في قوله: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ﴾؛ لأنّ العِلم الصحيح يستلزم العمل، والعِلم الذي لا أثر له في العمل يشبه أن يكون مجملًا وناقصًا لا يقينًا وإيمانًا، وكثيرًا ما يظنُّ الإنسان أنه عالم بشيء حتى إذا حاول العمل به لم يحسنه فيتبين له أنه كان مخطئًا في دعوى العلم. فالعلم بالشيء يظل مجملًا مبهمًا في النفس حتى يعمل به صاحبه فيكون بالعمل تفصيليا، فذكر الحواريين الأتباع بعد الإيمان يفيد أن إيمانهم كان في مرتبة اليقين التفصيلي الحاكم على النفس المصرّف لها في العمل[3].

دلالةُ العَطف بالفاء في الفاصلة:

وجه العطف بالفاء طلبُهم سرعةَ كتابتِهم من الشاهدين

جاء طلب كتابتهم مع الشاهدين في قوله تعالى ﴿فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ معطوفًا بالفاء؛ وذلك لما تظهره الفاء من سرعة الكتابة دُونما تأخير؛ لأنَّهم آمنوا بما أنزل واتَّبعوا الرَّسول فجزاء ذلك السَّرعة في كتابتهم مع الشَّاهدين لسرعة استجابتهم، وهذا ترتيبٌ طَبعي، فالنَّفس تميلُ إلى استعجال الخير[4].

(1) القنوجي، فتحُ البيان: 2/245.
(2) رضا، تفسير المنار: 3/259.
(3) رضا، تفسير المنار: 3/259.
(4) اللحياني، الدُّعاء في القرآن الكريم، ص: 213.

بلاغة الكناية في لفظة الكتابة:

وجه الكناية تثبيتهم على الإيمان في الخاتمة، وانضمامهم إلى الصَّالحين

لفظ الكتابة في الآية كنايةٌ عن تثبيتهم على الإيمان في الخاتمة، والمُراد: اجعل ذلك وقَدِّرْهُ لنا في صحائف الأَزَل، أو أدخلنا في عداد أتباعهم، فهو كناية عن الانضمام إلى الصَّالحين[1].

وفي اختيار الفعل (اكتُبْ) بما فيه من معاني الإلصاق والتثبيت[2]، دلالة على شِدَّة حِرصهم أن يكونوا في عِداد الصَّالحين ومن جملتهم، وذلك بتثبيت أسمائهم معهم عن طريق الكتابة؛ لأنَّها وسيلة التَّوثيق في العهود والمكاتبات[3].فـ" الكتابة تقيّد وتضبط ما يحتاج إلى تحقيقه وعلمه في ثاني حال"[4].

في انتقاء لفظ الكتابة دليلٌ على شِدَّة حِرصهم أن يكونوا في عِداد الصَّالحين

بلاغة الاستعارة في لفظ الشّهادة:

فائدة الاستعارة تشريفهم بالشهادة، وترسيخ يقينهم

الشاهد: هو المخبر عن الشيء مشاهدة: إما حسًّا، أو عقلًا، مبينًا حكمه، وأنه استعير للشهادة في الأحكام، والشاهدون ها هنا هم الذين على طريقة من قال فيهم: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: 143][5]. وفي الاستعارة مزيدُ تشريفٍ لهم، وطمأنينة ويقين لهم وللمؤمنين.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(الرَّبّ)، و(الإله)، ولفظ الجلالة (الله):

الرَّبُّ: هو الَّذي أنشَأَ الشَّيْءَ حالًا فحالًا إلى حَدِّ التَّمام، أو قامَ على إصلاحِ شُؤونِه وتَوَلَّى أمرَه بانتظام، وهو لا يُطْلَقُ غيرَ مُضافٍ إلَّا على اللّهِ تعالى، وإذا أُطلق على غيرِه أُضِيفَ، كربِّ الإبل ورَبِّ الدَّارِ؛ أي: مالكها، فالرَّبُّ سبحانه هو المُتكفِّل بالخلائق أجمعين، إيجادًا وإمدادًا ورعايةً، وغير ذلك[6].أمّا الإلهُ: فمن أسماء الأجناس،

(1) الخفاجي، عناية القاضي: 3/29.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (كتب).
(3) اللّحياني، الدُّعاء في القرآن الكريم، ص: 314.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/495.
(5) الراغب، تفسير الراغب: 2/586.
(6) الرَّاغبُ، المفردات، ص: 336، ابن الأثير، النِّهاية: 2/179.

كالرَّجل والفَرَسِ، يقعُ على كلِّ معبودٍ بحقٍّ أو باطلٍ[1]، وهو الَّذي تألهُهُ القُلُوبُ محبَّةً، وإجلالًا، وإنابةً، وإكرامًا، وتعظيمًا، وذلًّا، وخضوعًا، وخوفًا، ورجاءً، وتوكُّلًا[2]. وأمَّا لفظ الجلالة (اللّه) فمختصٌّ بالمَعبود بحقٍّ، لا يُطلق على غيرِه[3]. واختيار القرآن على لسان الحواريين ﴿رَبَّنَآ﴾ بدل (إِلَهَنَا) أو (اللّه) لاستدرار عطاء اللّه المفهوم من معنى الرّبوبيّة عامّة، والّذي دَعَوْا به خاصّة.

الإيمان والإسلام:

الإيمان: التّصديق، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف: 17] أي: بمُصَدِّق[4]، وهو العِبادات القلبيَّة، كالإيمان باللّه واليوم الآخر، والإخلاص للّه ومحبته سبحانه وتعالى، والتَّوبة من الذُّنوب، والخشوع في الصَّلاة. وأمَّا الإسلام فيُقَال: فلانٌ مُسْلِم، أي: مُنْقَادٌ لأمر اللّه، مُخلِص له العبادةَ، وهو مرتبط بالعبادات الظَّاهرة كقراءة القرآن، وأداء الصَّلاة، وحجِّ البيت، وغير ذلك[5]. واختيار القرآن على لسان الحواريين ﴿ءَامَنَّا﴾ بدل (أَسلَمنَا) لإخبارهم بما وقر في قلوبهم ممّا لا يطّلع عليه أحد، حتّى يجتمع لهم صلاح الباطن بإخبارهم مع صلاح الظّاهر بعملهم الظّاهر، "وَاخْتلف أهل الْعلم فِي الْإِيمَان وَالْإِسْلَام، قَالَ بَعضهم: هما وَاحِد، وَفرّق بَعضهم بَينهمَا. وَفِي بعض الْأَخْبَار عَن النَّبِي قَالَ: «الْإِسْلَام عَلَانيَة، وَالْإِيمَان فِي الْقلب»[6]، وَعَن الزّهريّ: الْإِسْلَام هُوَ الْكَلِمَة، وَالْإِيمَان الْعَمَل. وَفِي خبر جِبْرِيل - صلوَات اللّه عَلَيْهِ- حَيْثُ جَاءَ يسْأَل عَن الْإِسْلَام وَالْإِيمَان، وَفرق الرَّسُول بَينهمَا، فَجعل الْإِسْلَام هُوَ الْأَعْمَال الظَّاهِرَة، وَالْإِيمَان هُوَ التَّصْدِيق الْبَاطِن "[7].

(أنزلَ) و(نَزَّل):

الإنزال يأتي عامًّا في نقل الشَّيء من عُلوٍّ إلى سُفل[8]، أمَّا التَّنزيل فليس على إطلاقه؛

(1) الزَّمخشريُّ، الكشَّاف: 1/6.
(2) ابن القيِّم، مدارج السَّالكين: 1/417.
(3) الزَّمخشريُّ، الكشَّاف: 1/6.
(4) الخليل، العين: (أمن).
(5) الأزهري، تهذيب اللُّغة: (سلم).
(6) الإمام أحمد، المسند، الحديث رقم: (12716)، والألباني، ضعيف الجامع الصغير، الحديث رقم: (5088).
(7) ا السّمعانّي، تفسير القرآن: 5/230.
(8) المناوي، التَّوقيف، ص: 64.

إذ حقيقة التَّنزيل في اللُّغة هو ترتيب الشَّيء، ووضعه منزِلَه[1]. فالهمزة في الإنزال للتَّعدية، أمَّا التَّنزيل فالتَّضعيف فيه للتَّعدية؛ وزاد التَّضعيف معنى التَّكرير.

واختيار القرآن على لسان الحواريين ﴿أَنزَلْتَ﴾، بدل (نَزَّلْتَ)، ليشمل كُلَّ أنواع الإنزال، وصوره، وأزمانه، وأماكنه، بخلاف (نَزَّلْتَ)، فيكون إيمانهم بكلِّ وحي الله المنزل.

الإلحاق والاتِّباع:

الاتِّباع: لحُوق الشيء بمتقدِّم أو سابقٍ بلا فصلٍ، مع رِقَّةٍ ولين. ومنه: تَبِعَ الشَّيءَ: سارَ في أَثَره. واتَّبعه وأتْبعه وتَتَبَّعه: قَفَاه، كأنَّما لَحِق أو التصقَ به، وتَطَلَّبه متَّبعًا له[2]. والإلحاق: إدراك الشَّيء شيئًا كان يَسبقه مُتَّصلًا بأثنائه؛ كالبلح الأخضر في النَّخلة بعد أن تُتَمِّر، والثَّمر بعد الثَّمر، وَأَلحاقُ الكتاب مُتَّصلة بأثنائه[3]، واختيار القرآن على لسان الحواريين ﴿وَٱتَّبَعْنَا﴾ بدل (لَحقنا) أو (التقينا)، يدلّ على أنّ المتبوعَ أهلُ فضل وسبق، وأنّ التابع فيه لين ورِقَّةٌ وحسن خلق، وأنّ التّابع متّصل بالمتبوع، لا ينفصل عنه، وهذا لا يدلُّ عليه "لَحِقْنَا" أو "الْتَحَقْنَا".

الرَّسول والنَّبيّ:

أَن النَّبِيَّ لا يكون إِلَّا صَاحب مُعْجزَة، وَقد يكون الرَّسُول رَسُولًا لغير الله تعالى فلَا يكُون صَاحب مُعْجزَة. والنُّبوّة يغلب عليها الإضافة إلى النَّبِي، فَيُقَال: نبوَّة النَّبِي؛ لِأَنَّهُ يسْتَحقّ مِنها الصِّفة، والرِّسالة تُضَاف إِلَى الله؛ لِأَنَّهُ المُرْسِل بهَا؛ وَلِهَذَا قال: برسالاتي، وَلم يقل: بنبوّتي. والرِّسالة جملَة من البَيَان يحملهَا القائم بهَا ليؤدّيها إِلَى غَيره. والنُّبوّة تَكْلِيف القيام بالرِّسالة[4].واختيار القرآن على لسان الحواريين ﴿ٱلرَّسُولَ﴾ بدل (النّبيّ) في دعائهم الله تعالى يدلّ على تعظيمهم الله بنسبة الرّسول إلى المرسل في المعنى، إذ التّقدير: (واتّبعنا رسولك الّذي أرسلته)، ولهذا توجّهواْ بالخطاب إلى الله تعالى، بعد خطابهم عيسى عليه السلام.

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نزل).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (تبع).
(3) المصدر نفسه: (لحق).
(4) العسكريّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 289.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»